الاستعداد لضيافة شهر ا

يقول تعالى: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ) (البقرة/ 185). ويقول النبيّ الأكرم (صلى ا عليه وآله وسلم): «أتاكُم رمضانُ شهرٌ مباركٌ، فرضَ اُ عزّوجلّ عليكم صيامَه، تُفتحُ فيه أبوابُ السماءِ، وتُغلقُ فيه أبوابُ الجحيمِ، وتغَلّ فيه مرَدَةُ الشياطينِ، ِ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ، مَن حُرِمَ خَيرَها فقد حُرِمَ». حدّثنا رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) والأئمة الهداة (عليهم السلام) عن هذا الشهر وعن بركاته وفضله وضرورة الاستعداد له بكل ما يمكن للإنسان من الاستعداد العقلي والروحي والشعوري والعملي، فقد خطب رسول ا (صلى ا عليه وآله وسلم) في آخر جمعة من شهر شعبان، فحمد ا وأثنى عليه ثم قال: «أيّها الناس إنه قد أظلكم شهر فيه ليلة خير من ألف شهر، وهو شهر رمضان، فرض ا فيه صيامه، وجعل قيامه ليلة بتطوّع صلاة كمن تطوّع بصلاة سبعين ليلة في ما سواه من الشهور، تُغلق فيه أبواب النيران، وتُفتح فيه أبواب الجنان، فمن أدركه فلم يُغفر له فأبعده ا، هو شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار». وقال (صلى ا عليه وآله وسلم) في رواية أخرى: «أيّها الناس، قد أقبل إليكم شهر ا بالبركة والرحمة والمغفرة، شهر هو عند ا أفضل الشهور وأيامه أفضل الأيام ولياليه أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات، هو شهر دُعيتم فيه إلى ضيافة ا - فا تعالى بسط لنا في هذا الشهر مائدته في الصباح والمساء، ومائدة ا رزقه ومغفرته ورضوانه وجنته - وجُعلتم فيه من أهل كرامة ا - عندما تُكرمون أنفسكم بالتقوى وتُكرمون الناس من حولكم بالخير والمحبة - أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة، وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب، فاسألوا ا بنيّات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإن الشقي من حُرم غفران ا في هذا الشهر».

علينا أن نعدّ أنفسنا فيه لنكون لائقين بضيافة ا في شهر رمضان، فلن يدخل إلى ضيافته إلّا الأطهار، ونرجو أن يبلغنا ا ذلك. وهذا ما أشار إليه الإمام الرضا (عليه السلام) لأحد أصحابه: «وأكثر من الدُّعاء والاستغفار وتلاوة القرآن، وتب إلى ا من ذنوبك، ليُقبل شهر ا عليك وأنت مخلصٌ عزّوجلّ، ولا تدعنّ أمانة في عنقك إلّا أدّيتها، ولا في قلبك حقداً على مؤمن إلّا نزعته، ولا ذنباً أنت ترتكبه إلّا أقلعت عنه، واتّقِ ا وتوكّل عليه في سرائرك وعلانيتك: (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى

اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً) (الطلاق/ 3)».

بعد أن استكمل النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) خطبته، قام الإمام عليّ (عليه السلام) وقال له: «يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر»؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر الورع عن محارم الله»، ادرس كلّ ما حرّم الله عليك، ما حرّمه في كلماتك ونظراتك وطعامك وشرابك وشهواتك ومالك وتجارتك ومساكنك، انظر إلى كلّ ما حرّم الله عليك وابتعد عنه، فذلك من أفضل الأعمال في هذا الشهر. وقد كان الإمام الصادق (عليه السلام) إذا دخل شهر رمضان يوصي ولده: «إذا دخل شهر رمضان فأجهدوا أنفسكم، فإن فيه تُقسم الأرزاق وتُكتب الآجال، وفيه يُكتب وفد الله».

إنّه الموسم، موسم الخير والمغفرة والرحمة والرضوان والعبادة والعدل، تعالوا لنجلس على مائدة الله ولنتقبّل ضيافته، ولنعدّ أنفسنا حتى نكون من أهل طاعة الله ومن المقرّبين إليه في هذا الشهر الفضيل، لأنّكم تعرفون أن من يخسر الموسم فإنّه يخسر السنة كلّها ويخسر العمر كلّه، تعالوا نربح أنفسنا ومصيرنا في هذا الشهر الكريم، نربح الجنة عند الله: (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) (الشعراء/ 89-88).

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا الشهر علينا وعلى المسلمين جميعاً شهر خير ورحمة ومغفرة وبركة، وأن يعيننا على أنفسنا بما يُعين به الصالحين على أنفسهم، وأن نحظى بأفضل بركات هذا الشهر، إنّه سميع مجيب الدُّعاء.